الباب الأول

تعريفات

تكرر استعمال مصطلحات بعينها فى هذا الكتاب ولذا لابد من توضيحها كما يلى :

(١)

العربى (العرب)

أخذنا بالتعريف النبوى لهذا المصطلح حيث روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أيها الناس، إن الرب واحد والأب واحد وليست العربية بأحدكم من أب أو أم، وإنما هى اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربى» (رواه ابن عساكر فى تاريخه ٢١: ٤٠٧).

واللسان ابتداءً يشمل اللغة إلا إنه أوسع من ذلك. إذ يشمل الثقافة بشكل عام. فكل من تكلم العربية وشارك العرب فى ثقافتهم وسجاياهم وأعرافهم فهو عربى سواء أقام فى أوطان العرب أم لم يقم كما ألحق الإسلام الموالى بقبائلهم.

قال رسول الله ﷺ «مولى القوم منهم» (أبو داود ١٦٥٠ النسائى ٢٦١٢) .

فالكردى والأمازيغى والإفريقى والزنجى والسريانى والآشورى والأرمنى الذى يتكلم لغة العرب ويحيى ثقافتهم هو عربى حق بجانب هويته الأخرى. وهو بهذا ذو هوية ثرية مزدوجة وولاؤه لوطنه العربى لا يتعارض بل يعزز ولاءه لهويته الأخرى الجزئية الخاصة، ما دام أصل الولاء هو البحث عن الحق والعمل به والدعوة له أينما كان ولا يضيره أن يتمسك ويعتز بلغتيه العربية والأخرى فكلاهما من آيات الله سبحانه وتعالى. قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الروم٢٢. بل ينبغى أن يكون الحفاظ على ذلك الثراء اللغوى جزءا من سياسة الدولة والمجتمع المعنى بذلك.

كما أن محور ما تُعرّف به «الأقليات» ذاتها أن لها لغة خاصة بها فضلا عن اللغة العربية. ونحن نقول معها: نعم ! إن لكم هوية مزدوجة بما لكم من لغة خاصة ثانية. لكن ما بال وحكم لغة العرب وثقافتهم التى تجيدونها كما نجيدها؟!

أليس لها من هويتكم نصيب؟!

نحــن نقول إنكم بها : عــرب فضلا عن كونكم أمازيغ أو أكراد أو زنوج أو أرمن.. إلخ أليس هذا – فضلا عن أنه الحق الذى نؤمن به – هو تســامح من العرب قِبل غيرهم وبُعد عــن العنصريــة والعرقية؟! كما أن حجــم الأثر الثقافى للغة العــرب عليكم مقارنة بلغتكم الخاصة – أليس أضعاف أضعاف؟! أليس من الظلم أن يرجح القليل على الكثير والمفضول علــى الفاضل؟! ألم يصبح العربى المهاجــر باللغة والإقامة واتحاد المصالح أمريكيا بجانب عروبته وبعد سنين قليلة ؟! فكيف إذا بالعِشرة والمعايشة لقرون؟!

وترى بعضهم أديبا أو شاعرا بلغة العرب ويعيش فى البلاد ومع العباد لأجداد وأجداد. وعلــى جانب آخر: لا يجيد لغته التى يجعلها مرجعية انتمائه أكانت كردية أم أمازيغية أم غيرها بل لا يعرفها جملة! ثم يصنف نفسه أنه «ليس عربيا»! أليست هذه هى العرقية البغيضة والعنصرية الجاهلية بعينها؟! ثم من أين له الجزم بعرقيته هذه؟! ألديه شــجرة قطعية للعائلة ترجعه إلى ما يزعمه؟!

(٢)

الأمــة

وأصل الكلمة مشتق من «الأم» الجامعة لخلف بعينه مشترك فى السمات والتربية.

ولقد ورد مصطلح الأمة فى القرآن الكريم والسنة النبوية بمعانى منوعة منها:

أ – مجموعة بشرية ذات دين واحد:

قال تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ الأنبياء ٩٢.

وحتى الفرد عندما كان فريدا فى قومه بدينه وصلاحه سمى «أمة».

قال تعالى ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ النحل ١٢٠.

كما ورد فى صحيفة المدينة التى نظم بها رسول الله ﷺ العلاقة بين قاطنيها ما يلى: «بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد النبى رسول الله بين المؤمنين المسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس....»

وقــال تعــالى ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ آل عمران ١٠٤.

وتلك أمة خاصة بفضل الأمر بالمعروف من أمة المسلمين العامة.

وقال تعالى ﴿ لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ اللَّهِ ءَانَآءَ الَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ آل عمران١١٣.

وهنا أيضا استخلاص أمة خاصة من أمة عامة بناءً على صفات إضافية بعينها.

وقال ﷺ: «الكفر أمة واحدة» أى شركاء جميعا فى جهلهم بالله وهديه. أى على دين واحد فى هذا الجامع المشترك.

ب – جمع من الناس يربطهم الوطن والمصالح برغم تنوع دياناتهم:

قال تعالى ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ البقرة١٣٤.

والأمة فى الآية لا بد أنها لم تكن على دين واحد.

وقال ﷺ فى صحيفة المدينة: «وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم»، «وإن يهود الأوس مواليهم، وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر الحسن».

لقد نعت الرسول الكريم فى هذه الصحيفة مواطنى المدينة جميعا مسلمين وغير مسلمين «أمة".

وقال تعالى ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ البقرة: ٢١٣.

الآية الكريمة تبين أن الأمة الواحدة كانت تحوى مفاهيم وعقائد مختلفة وأرسل الله الرسل لها لبيان الحق لهم وحسم خلافاتهم.

جـ - وصف فصيل من المخلوقات ذات سمات واحدة :

قال تعالى ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ الأنعام ٣٨.

إذ وصف سبحانه وتعالى هذه المخلوقات «أمم» برغم أنهم جميعا بدين واحد يسبحون لله، وما جعلهم كذلك سمات إضافية خلا الدين تميز بعضهم عن بعض.

والشاهد أن كلمة «أمة» استعملت فى القرآن وصفا لمجموعة بشرية (أو غير ذلك) تشترك فى سمات بعينها.

ونحن نقتدى بهذا الاستعمال القرآنى ونقول :

الأمة العربية: تعنى كل من عرف لسان العرب وعاش ثقافتهم.

والأمة الإسلامية: تشمل من الناس كل من كان دينه الإسلام،ولهذا هى عابرة للشعوب واللغات والجغرافيا والتاريخ والثقافة خلا الدين.

والأمة العربية الإسلامية : تشمل كل من كان عربيا وعاش فى ظل الثقافة العربية الإسلامية سواء أكان مسلما أم لم يكن.

حيث الواقع التاريخى يقول: إن العرب كانوا موجودين قبل الإسلام فى الجزيرة وأغلب البلاد التى تمثل وطنهم اليوم. إلا إنهم كانوا بروابط واهية لغة ودينا وثقافة وسمات وآمال وآلام واجتماع. وذلك من طبيعة زمانهم، إذ كانت الأقوام فى مرحلة التكون الأولى.

فلما جاء الإسلام أعاد صناعة ذلك الوجود. فصهره ووحده ووحد سماته وروابطه لغة وثقافة ودينا. ومن ثم كان الإسلام هو المنشئ الحقيقى للوجود العربى كما نعرفه اليوم.

فالقول بأن الأمة العربية الإسلامية تشمل كل مواطنى بلاد العرب مسلمين وغير مسلمين قول حق يترجم وقائع التاريخ فى تكون هذه الأمة وبعثها من جديد برسالة الإسلام وحدة لغوية ثقافية عند الجميع يُضاف لها رابطة الدين الإسلامى عند الأغلبية.

وهذه التسمية تعنى من منظور الزمن والتاريخ: أمة العرب بعد رسالة الإسلام: ومن منظور اللغة: لغة العرب كما نعرفها اليوم، ومن منظور الثقافة والسمات الاجتماعية والنفسية ما أسسه الإسلام وبناه فيها من مفاهيم وقيم ومعارف وأعراف.

(٣)

أ - الاستبداد

عرف العلماء الاستبداد بأقوال منوعة، إلا إنها تعطى ذات المعنى فى النتيجة.

فقد سماه العلامة ابن خلدون «الملك الطبيعى» وعرّفه بأنه «حَمْلُ الكافة على مقتضى الغرض والشهوة». وأما تعريف الشيخ عبد الرحمن الكواكبى فهو «التصرف فى الشؤون المشتركة بمقتضى الهوى».

وحيث إن الاستبداد فى بلادنا العربية وفى القرون السابقة بما فيها القرن العشرين استفحل وتغوّل على الحياة العامة والخاصة كلها. ولم يترك شاردة ولا واردة فى ملف

الحريـــة أيًا كان نوعها وشـــكلها إلا أحصاها ورصدها وأطلق أجهزته وعملاءه لســـد المنافذ وتكميـــم العقول والألســـن وتقييد الأيدى والأرجل بل وبتر الأعضاء وحتى نبش الســـرائر، فقد اســـتدعى هذا الحال إعادة النظر فى التعاريف المذكـــورة بالتوســـيع والأحكام وجعل التعريف مربوطا بالسياســـة الظاهرة والتصرفات العملية القابلة للضبط والقياس دون النوايا الغامضـــة وأعمـــال القلوب. ومن ثم إرجاع الأمر فى هذا الشـــأن لحال منضبط قابل للتدقيق والتحقيق من الناس على أوسع نطاق.

لذا ربطنا «التعريف» بوجود المؤسسات الشورية التى تقرر مع الحاكم بإلزام فى الشؤون المشتركة على أن تمثل تلك المؤسسات الأمة تمثيلا صحيحا. وأما الهوى فالحاكم قادر عقلا أن ينكره ويستنكره، وكذا الغرض والشهوة وأيضا يزكيه شيوخه ومن والاه، ويقسم الجميع أن الحاكم لم يُرِد إلا الإصلاح من تصرفه !ولقد اجتهد وأخطأ ! وله أجرُ المجتهد المخطئ!

والهـــوى (ومتعلقاته: الغرض والشـــهوة) فى جانب منه مرتبـــط بالنية وهى من أعمال القلوب ويصعب ضبطها ومعرفة حقيقتها حتى على الخاصة فضلا عن عامة الناس أصحاب المصلحة المشاركين فى الشأن العام.

كما أن تحكيم الهوى والشهوة هو أحد الآثار التى قد تقترف فى ظل الاستبداد، لكنها قد لا تحصل فى حالة صلاح الحاكم الفرد وثباته على ذلك. إلا أنَّ ما يحصل يقينا فى ظل الحكم الفردى وفى كل الحالات أمران متلازمان وهما:

١ – إيكال الأمة فى شؤونها لحكمة فرد واحد وما حازه من علم وخبرة وإحاطة، وضعف الإنســـان الفـــرد من متواتر ما جاء بـــه الأنبياء، كما أنَّه من راســـخ الخبرة فى تاريخ البشـــرية. وليـــس لذلك من علاج إلا جمـــع العقلاء وخبرة الخـــبراء وحكمة الحكماء للتشـــاور والنظر، كى تقلب الأمور على الأوجه المختلفة بمشاركة واسعة، وذلك طريقا لترشـــيد الحركة إلى الحد الأقصى المتاح وكذا دحر الهوى والشـــهوة بحراسة المجموع الواسع الذى يصعب تواطؤهم على غير الحق.

٢ – التفرد بالتقرير فى شـــأن يخص الناس ودون مشـــاورتهم وما يكتنف ذلك من مســـاس بكرامتهم، وافتئات على حريتهم وعقولهم وإرادتهم، وتلك مقومات إنسانيتهم ومقدمة على ما عداها. وعلاج ذلك لا يكون إلا بالمشاركة الحقة فى القرار من أصحاب المصلحة جميعا.

ولقد حصل خلط كبير عند استعمال الهوى والغرض والشهوة فى تقييم تصرفات الحكام.

فمثــلا: وفى قضية محورية وهى ولاية العهد التى قام بها معاوية لابنه يزيد. لقد نفى عنها ابن خلدون الهوى والشهوة والغرض!! بل جعلها من حكمة معاوية وضرورة قام بها لتحقيق مصلحة الأمة واستقرارها.

ورد فى المقدمة: (٣٩: ص٢١٦): «وكذلك عهد معاوية إلى يزيد خوفا من افتراق الكلمة بما كانت بنو أمية لم يرضوا تسليم الأمر إلى من سواهم.

فلــو قد عهد إلى غــيره اختلفوا عليه، مع أن ظنهم كان صالحــا، ولا يرتاب أحد فى ذلــك، ولا يُظــنُّ بمعاوية غيره، فلم يكن ليعهد إليه، وهو يعتقد ما كان عليه من الفســق، حاشا لله لمعاوية فى ذلك».

وقــال ابــن خلدون هذا الرأى بعد قرون عدة (واقعة ولايــة العهد عام ٥٦ هـ ووفاة ابن خلــدون عــام ٨٠٨ هـ) من هذه الواقعــة. وبعد أن بان للناس جميعا ما جرّته هذه الســنة السيئة من مصائب على الأمة فى الفكر والعمل، ونحن نعجب من رجل بقامة العلامة ابن خلدون الذى أنشأ علم الاجتماع ونقد التاريخ أن يقع فى هذا. وفى رأيى المتواضع أن هذه الواقعة – نسبة لآثارها اللاحقة – كانت أكبر مصيبة سياسية فى تاريخ المسلمين!

على أى حال نحن هنا فى وارد بيان خلل أن يحال تقييم الاستبداد من عدمه إلى الهوى الذى هو من متعلقات النية، ومن ثم ميوعة المقياس وفقدان الانضباط.

وبناءً على ما تقدم اســتدعى الأمر الشرح التالى لتحديد التعريف الجديد للاستبداد لعله ينفع الناس.

مصطلح الاســتبداد كما اســتعمل فى هذه الكتاب يحتاج إلى شرح وأمثال أولا ثم تحديد ماهيته بالتعريف ثانيا ونقول:

أحد صور التصرف ابتداءً هو حكم الفرد أو مجموعة من الأفراد فى شأن يخص آخرين، فإن كان التصرف وفق ما تم التعاقد عليه بين الطرفين فهو غير مجروح، والعكس بالعكس. فالعبرة إذا بشروط العقد مطلقا ليس إلا.

فإذا انتقلنا إلى حالة محددة وهى: مجتمع مســلم فى أغلبه تعاقد مع حاكم أن يســوس شــأنهم العام بمقتضى هدى الإســلام، أصبح العقد بين طرفيه محدد الشــروط، إذ يأمر الإسلام بالعدل والشورى والحرية والمساواة والتراحم والبر وحفظ وحدة الأمة وأموالها وترك

دعوى الجاهلية وهكذا. فإن قام الحاكم بهذا كله قدر الطاقة فقد وفى وأبرأ. وإن قصر فى أى منها دون اضطرار فقد خالف عقد الولاية.

لكن هب أن حاكما قام بشروط التعاقد جميعا خلا الشورى، وما ينص عليه الإسلام فى شأنها هو شورى الأمة أو من اختارته لتمثيلها.

قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ الشورى ٣٨.

فقد استبد وافتأت وجُرِحت عدالته ولا يجوز الاحتجاج بما حقق من إنجازات، إذ فات الناس فى شأنهم مركب الكرامة والحرية بفوات أحد تطبيقاته فى السياسة ألا وهو الشورى.

ثم هب أن حاكما قام بكل الشروط بما فى ذلك المشاورة لجماعة محدودة حوله اختارها للاستئناس بآرائها فذلك لا يصح والتقصير فى إعمال شورى الأمة جلى.

ثم هب أن حاكما قام بكل الشروط بما فى ذلك المشاورة لجماعة موسعة جاءت من كل الأقاليم إلا أن اختيارها شابه تدخل الحاكم بالتفضيل والإقصاء سواء كان مباشرا أو ضمنا، فذلك أيضا لا يصح، وما زالت الشورى تحظى بالتزوير ويلتف القائم بالأمر حولها!

والصحيح أن يُعمِل الحاكم عقده مع الأمة نصا وروحا ويجتهد الإحسان فى ذلك، وأن يكون اختيار من يمثلون الأمة حرا صحيحا وعن علم. فلو كان الاختيار حرا ولكن دون علم، حيث خيم الجهل والأمية الصريحة والسياسية على الناس وحجبت حرية الرأى ووسائل العلم والاستعلام والإعلام لمعرفة الحقيقة عن قضايا المجتمع وموقف قياداته الفكرية والسياسية منها، فإن ذلك الاختيار مجروحٌ ولا يفى بالغرض.

ويتبين هنا متلازمة الحرية والعلم والشورى، فلا شورى دون حرية وعلم، ولا معنى للحرية السياسية دون شورى.

ثم هب أن حاكما قام بكل ذلك بما فيه مشاورة من يمثلون الأمة حق التمثيل، إلا إنه لم يلتزم بقول أغلبهم فى الشأن العام، فقد حبس الشورى فى آخر مراحلها وهى الالتزام بقول أغلب ممثلى الأمة! وقتلها بعد أن نضجت وصحت أداتها! إذا ما جدوى كل الجهد فى الاختيار والإعلام والاستعلام؟! وعرض الأفكار والبرامج على الناس؟! إن كانت النتيجة بعد هذا الجهد: فرد يفكر للملايين ويطلب من عقولهم التقاعد ثقة بحكمته وما يرى! وفى

شأن يخص الأمة وقول من اختارتهم لتمثيلها! إذا لكان الأولى أن يطالع الحاكم من وسائل الإعلام وبوسائله الخاصة ومستشاريه الآراء التى يتداولها الناس ويستأنس بها فى تمحيص القضية ثم يبت فيها برأيه!

ثم هب أخيرا أن حاكما قام بكل ما تقدم على الوجه المطلوب وأخذ برأى أغلبية ممثلى الأمة إلا إنه لم ينفذ ما اتخذ من قرار فى حياة الناس أو تقاعس أو أهمل فى التنفيذ ومتابعته، ومن ثم غاب أو جاء ناقصا لا يحقق الغرض منه. فقد جرح الحاكم الشورى التى أوكلت إليه أصلا مهمة التنفيذ والإحسان فيها، ولم يقم بالأمانة التى قبلها وتعاقد عليها.

وعدم التنفيذ بما يُتفق عليه هو فى عصر العرب الراهن من أفتك الأمراض التى تودى بالشورى وغيرها وتجعل العمل السياسى – فى معظمه – خطبا وأقوالا وقرارات لا تعدو أن تكون حبرا على ورق، ومن ثم يفقد الناس الثقة فى الحكام وفيمن يمثلونهم من مجالس نيابية وغيرها. قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ (الصف ٢، ٣).

كما أن إهمال التنفيذ أو التقاعس فيه يمثل المخرج الأمثل لحكام الجور من قرارات الشورى ومطالب الشعب، ومن ثم لا بد لجهاز الشورى أن يمد نشاطه وصلاحياته إلى المراقبة ومتابعة التنفيذ لما تم إقراره، وأن يجعل ذلك ركنا فى عمله ومهمته.

وبناءً على ما تقدم من بيان، نرى أن تعريف الاستبداد يبدأ بتعريف الحكم بالشورى أولا، ويكون الاستبداد واقعا عند جرح أى ركن من الحكم بالشورى وذلك كما يلى:

تعريف نظام الحكم بالشورى:

«سلطة الحاكم مقيدة برأى الأغلبية فى مجلس شورى يمثل الأمة؛ وعلى الحاكم تنفيذ ما يتم إقراره».

والاستبداد هو: «حكم دون مجلس شورى يمثل الأمة وقراراته ملزمة، أو لم ينفذ الحاكم ما تم إقراره».

ب- مؤسسة الاستبداد

ونعنى بها كل من مارس الاستبداد وفى أى من المستويات أو نفذ أوامره الظالمة أو نصره قولا أو فعلا. ويصح ذلك على كل الناس من شاغلى الولايات وكذا منفذى الأوامر أيضا. قال تعالى ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ﴾ القصص ٨.

ولم تستثنى الآية الكريمة الجنود وهم أداة تنفيذ الظلم!

كما تشمل هذه المؤسسة المقيتة المستفيدين من حكم الاستبداد فى المناصب والولايات والأموال والتجارة والأعمال ومن كل فئات الناس، وتشمل أيضا داعمى الاستبداد فى الحياة الفكرية والثقافية والدينية، وكذا المروجين لمقولاته فى كل المستويات وسواء وعوا ما يقومون به أم لم يعوه، إذ إن الاستبداد مع طول العهد به يفسد الثقافة العامة ويفرغها من نقائضه: الحرية والكرامة والعلم والفكر، ويملأها بالغث والضار. وتجد كثيرا من الناس يرون فى قيود أيديهم وأرجلهم التى كبلهم بها الاستبداد أساور وحلى من طول العهد بها والتعود عليها!

(٤)

أ - القبيلة

هى مجموعة بشرية تجمعها رابطة الدم أساسا (العرق) وقد يشترك أغلبها فى سمات أخرى كالثقافة والدين واللغة والاجتماع العام. إلا أن رابطة الدم هى محدد الانتماء لا غير. وقد يوجد فيها التنوع فى الدين والثقافة والوطن.

ب - الشعب

هو مجموعة بشرية تقيم على أرض واحدة تجمعها اللغة والثقافة أساسا ثم المصالح وقد يجمع أغلبها سمات أخرى كالدين. قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ الحجرات ١٣.

وأما العرق فلم يعد له مكان فى تكوين الأمم والشعوب ولا يأخذ به أحد فى العصر الراهن ومثال ذلك الأمم القوية المعاصرة مثل الأمة الأمريكية والفرنسية والبريطانية. والأولى بهذا المنحى أمتنا العربية وشعبنا العربى وهى أمة ثقافة بامتياز كونتها وأعادت صناعتها الثقافة بمعناها الواسع بحق. ففى هذه المنطقة تم صهر العربى والرومى والآشورى والآرامى والتركى والأفغانى والمغولى والهندى والأمازيغى والكردى والفارسى جميعا وكان المدخل لهذا الانصهار الإنسانى الإسلام وثقافته ولغته وما حواه من ذمٍّ للآخذين بالأعراق، وجعل الثقافة والمصالح هى أساس العيش المشترك. ورسخ التعاون بين الناس على أساس العدل والمساواة.

وأعجب ما أرى أن يزعم الآشوريون والسريان مثلا أنهم ذوى هوية وقومية مميزة برغم أنَّ عرقهم الأصلى عربى من عشرات القرون قبل الإسلام فضلا عن ثقافتهم ولغتهم العربية! وهـم أخوة الكنعانيين والفينيقيين والعموريين ثم الأنباط والغساسـنة العرب. كما أنهم فى وطنهم العربى لغة وثقافة ومعايشـة منذ آلاف السـنين. وذات القول يصح فى حق الكردى والأمازيغى.

وكما سـبق البيان لا تثريب على أحد أن يكون له لغة أخرى بجانب العربية، ومثلها كمثل ازدواج الجنسـية فى الوقت الراهن والتى لم تعد تضير بل تفتح آفاقا أوسـع للمعرفة والخبرة. بل ازدواج اللغة داخل الوطن الواحد أقرب إلى الوحدة والولاء فهى فى ذات الوطن وليست ولاءً لوطنين كما الحال فى ازدواج الجنسية.

ومن ثم لا نرى أن توضع الانتماءات الجزئية فى مقابل الانتماء العربى بل الكل عرب. وإن احتج البعض بالمظالم الاجتماعية والاسـتبداد فذاك قد وقع على كل سكان المنطقة أيا كان مشربهم وأيا كانت تسميتهم الدارجة.

(٥)

(٥) - أ: علوم الدِّين

كلُّ علم أساسه نصٌّ صريح صحيح من الوحى قرآنا أو سنّة ومثالها: علوم القرآن، علوم الحديث، علوم الفقه والعقيدة، وسيرة الرسول ﷺ.

(٥) – ب: علوم الوسائل

وهى العلوم التى تتحرّك فى فضاء المباح ولها شقّان :

أولهمـا يتعامـل مع موجودات الكـون، وكل الكائنات الحية ومثالهـا: علوم الفيزياء والكيميـاء والأحياء (حيوان ونبـات)، والرّياضيات، وعلوم الأرض والفلـك والطِّبّ الذى يتعامل مع الجسم البشرى والتِّقنيات التى تُبنى عليها فى الحياة.

وثانيهمـا العلوم التى تتعامل مع الإنسـان الفـرد ومجتمعه. ومثالها: علوم السِّياسـة والاقتصـاد والقانون، والتاريخ والجغرافيـا. وعلوم النفس والاجتمـاع والأخلاق، والعلوم الإداريّة والأمن.

(٦)

(٦)- أ : عبادة الذِّكْرِ

أركان الإسلام وأركان الإيمان والأذكار والدعاء والنوافل.

(٦) – ب: عبادة العمل

وتشمل كلَّ حركة الإنسان المشروعة فى حياته سواء كانت فكرا أو فعلا أو عملا، وسواء أوجبها، أو ندبها نصٌ مقدّس، أو كانت فى فضاء المباح.

❑❑❑